

اختبارات روحية  
للقدیس مارا فرام السرناینی

بیتنا عینیت

## مقدمة

باسم الآب والابن والروح القدس إله واحد آمين

وجدنا بين مقالات القديس العظيم الأنبا أفرام السرياني " هذا المعال الفريد المؤثر الجامع لكل ما يحرك النفوس ويقودها إلى التوبة والتخلي بالعضائل المسيحية ، فهي بلا شك من أروع مقالات القديس من أجل غناياتها المعممة بالصالح الرعوية والارشادات النقية، فيها من الاختيارات الروحية ذخيرة لا تنفذ فاعليتها فهي نافعة لجميع المستويات وبالأخص للذين يسلكون طريق التوبة ومن هم وفوف على أبوابها ، في عيونهم بصيص من الأمل وفي قلوبهم نبض الرجاء يدفع الحياة الروحية ، فهي تجلو الصدا من القلوب والبصائر وتغسل النفوس من الذنوب ، كما أنها حلقة لمن يرومون أن يكونوا مؤهلين بالروح فطوري لمن يقرأها بفهم وترو وتدقيق ... وإلهنا مجد الدائم إلى الأبد آمين

(١) هو مدير كلية اللاهوت التي كانت ذاتها الصيت في القرن الرابع حيث لمع نجم القديس وهو من أعلم علماء الدربان وأفضل شعرائهم، ورئيس أديرة الرها ، صاحب المؤلفات الضخمة النفيسة .

## مقالة على السهر الروحي

يبدأ القديس مقاله متأملاً ويرنو ببصره إلى الأعلى مادحاً من سبقه من القديسين فيقول :-

من يعطى لرأسى ماء ولعيني دموع لابسكي نهاراً وليلا على كلوم نفسي وعلى رخاوة الموعدة الصائرة في أيامنا لأن نفسي علومة جراحاً وهي لا تدرى، لأن تعظمها لا يسمح لها أن تتأمل كلومها لتشفى وذلك كان وحده عظة في أيام آبائنا لأنهم أشرفوا كالشمس والنجوم في كافة الأرض .  
ثم يستنفض الهمم فيقول عنهم :-

كانوا مثل جواهر كريمية وأزواق جريل ثمنه ، من أجل فسكهم الكثير وسيرتهم الصلبة صار الأردباء أنفسهم متشبهين بهم ، لأن من كان يشاهد تواضع رأيهم ولا يتخضع ؟ أو وداعتهم وصنمهم فلا يتحير ؟ أي حب المال كان يعاين تركهم للفتية ولا يصير مبعضاً للعالم ؟ أي متعطرس ومتكبر كان يرى سيرتهم الحسنة ولا ينتقل إلى التواضع ؟ أي خبيث أو داس

(١) مقتطعات من المقالة الخامسة وموضوعها « التمسك والتعزية الكثيرة والحشوع المرابين أن يخلصوا » .

... لا يسلمون في الصلاة والذين لا يطهروا في الدين عبيدا وظاهرا  
أى سخطوا أو غضبوا وهو مخاطبهم لا ينتقل إلى الوداعة ؟ -  
هنا جاهدوا ، وهناك ابتهجوا لأن الله تعجد بهم والناس ثبتوا  
في تعاليمهم وانتموا ...

ثم يقول : أما نحن فقد تركنا الطرق المستقيمة . ليس من  
يرك الأموال من أجل الله ، لا أحد يزهد من أجل الحياة  
الأبدية ، ليس أحد وديعاً ومتواضعاً أو هادئ الطبع صبوراً  
على القذف ، بل الجميع سخطون وجاهلون والشكل عاجز  
وغضوب ... المكافئ معجبون بحيون للكرامة والمدبح ...

ويعالج أهل زمانه وغيره من الأزمات فيقول : -

الذي قد جاء ليوعظ قبل أن يوعظ يعظ ، قبل أن يتعلم  
يشترع فرائض ، قبل أن يتهم في السكتب يضع كتباً ، قبل أن  
يطيع يروم أن يطاع ، قبل أن يؤمر يأمر ... إن كان شيئاً  
يأمر بتعظيم ، وإن كان شاباً يحاب ، إن كان غنياً يطلب لإكراماً  
وإن كان مسكيناً يسأل عن الراحة ... من لا يبكي يا أحبائي على  
حالتنا من التعاليم لانا بينما نحن قد زهدنا في العالم تأمل المعقولات  
الأرضية ... لا نعرف إلى أي أمر قد دعينا ... دعينا إلى الطاعة

والوداعة ونجاوب متذمرين ، نقرأ ولا نعرف ، ونسمع ولا نفعل  
القول الذي في ذواتنا .

إن صادف إنسان في الطريق بغتة قتيلاً تغير نظارة وجهه  
ويجزع قلبه ونحن نقرأ أخبار الرسل المقنولين والأنبياء المرجومين  
وكأنها قيلت عبثاً . ولم أقول عن الأنبياء والرسل ؟

نسمع أن الإله الكلمة نفسه علق على خشبة من أجل خطايانا  
وقتل ونحن نلهو وتنزه . الشمس لم تحتل رؤبة السيد مهاناً  
فعلت بهامها إلى الظلة ونحن لا نشاء أن نلتقل من ظلة رذيلتنا .

فلنظهر إذن ذواتنا يا أحبائي ليسكن الإله فينا وننال مواعيده  
... فلنشفق على ذواتنا متفهمين أن اسمنا قد إتفق مع اسم المسيح  
لأنه هو المسيح ونحن ندعى مسيحين . الروح هو الإله ونحن  
صرنا روحانيين . لأنه حيث روح الرب هناك الحزبة .

### الجهاد من أجل الحرية والروحية

فلنحرص أن ننال هذه الحرية ، لنحضر لذهنتنا أية سيرة تلك  
التي قد أهلنا لها عالمين أنه إلى عرشه دعانا ... إصغوا إلى ذواتكم  
الثلاث تطالب بطائفة مضاعفة يوم الدينونة . قد انفصلنا عن العالم  
وتندبر معقولات العالم ، استخفينا بالأموال ونهت من أجلها .  
نخشى أن يدهمنا ذلك اليوم بغتة ونوجد عراة أشقياء وغير

مستعدين لأن هذا الأمر نفسه أصاب الذين كانوا في عهد نوح . في أيامه كانوا يأكلون ويشربون ويزوجون ويتزوجون ، يبيعون ويتبعون إلى أن جاء الطوفان فأهلك الكل .

إن الأمر يا إخوتي عجيب جداً ، إنهم كانوا يعاينون الحيوانات البرية مثلهم مثلها وكانت تنفطر الفيلة والأسود والنور وتجتمع مع الغنم والماعز ولا تصيها بأذى ، وكذا الدواب والطيور ... وهذه كانت في الأيام الخالية ونوح نفسه كان يبني الفلك ويهتف إليهم توبوا فلم يرتدعوا ، وكانوا يشاهدون بعجب اجتماع البهائم والحيوانات البرية لسكنهم لم يتخشعوا ويخلصوا ...

فلترهبوا يا أحبائي اثلا نصير نظير أولئك ...

من يشأ أن يخلص فليكن حذراً ولا يتواني .

من يشأ أن ينجو من جهنم النار فليجاهد أصلب الجهاد .

من يؤثر ألا يطرح في الدود الذي لا يرقد فليتيقظ مستيقظاً .

من يجب أن يدخل الحذر ويبتج فليأخذ مصباحاً بهياً وزيتاً

في وعائه .

من ينتظر أن يتسكى . في ذلك العرس فليقتن حلة منيرة فإن

مدينة الملك ملوثة سروراً وابتهاجاً ، موعبة نوراً وحلاوة .

تأبئة لذة وحياة أبدية الساكنين فيها ، فمن يجب أن يسكن في الملوكوت ويستوطن اورشليم السماوية فليجتهد بصبر كثير وجهاد لأن النهار قد مال ولا يعلم أحد ماذا يلقي في الطريق ، فمثل مثل مسافر كان يعرف بعد مسافة الطريق فاضطجع ونام إلى قرب المساء ثم انقبه وأبصر النهار قد مال ، فلما لبث بدأ بالمسير تداركته بغثة القيوم والبرد والرعد والبرق فاشتعلته الغموم من كل جهة وتعاضمت ضيقته لأنه لا يستطيع الوصول إلى المنزل ولا يستطيع أن يعود إلى موضعه . هكذا يصيبنا نحن إن توائمتنا واحطجعتنا في أوامير التوبة ، لأننا نحن سكان وراجلون فنحرص أن ندخل إلى مدينتنا وموطننا بعزاء ، نحن يا إخوتي تجار روحانيون طالبو الجرهرة الجزيلة الثمن التي هي المسيح مخلصنا ، الكبر الذي لا يسلب . لهذا فلنقتنه بحرص كثير . مغبوط من حرص أن يقتنيه ، شقي من توائى . ألا تعلمون يا إخوتي أننا أغسان في الكرمة التي هي المسيح . إحدروا إذن أن يوجد أحد غير مشمر فإن الذين يعطون ثمراً يظهرهم ليأبوا بشمراً أكثر ، والذين لا يأبون بشمراً يقطعهم ويرميهم خارج الكرم ليحرقوا بالنار . تأملوا ذواتكم حذرين من أن توجدوا غير مشمرين فنقطعوا وتلقوا في النار . نحن بذار جيد زرع المسيح سيد المنزل صانع السماء والأرض . وأوان الحصاد قد حان وبأيدي الحصادين المناهل متطرين

إشارة السيد . فاحذروا أن يكون أحدكم زواناً فيسُد حرمًا  
ويحترق بالنار الدهرية .

ألا تتفهمون يا إخوتي أننا زمعون أن نعبّر لجة مرهبة  
والنجانر الحاذقون والحكماء المستعدون ، تجارهم بأيديهم  
منتظرون هبوب الرياح ليسيروا ويبلغوا إلى ميناء الحياة  
وأنا ومن يشابهني ننزه بلا مكسب ولا فائدة !!

### صلاح سيرتنا

ليس لنا شيء . موضوع في ذهننا لنعبر به هذا البحر ونخشى  
أن تهب الرياح بغتة ونوجد غير مستعدين ... وسنبقى هناك على  
أيام نوابينا ناظرين إلى الآخرين وهم مبهجون ومسرورون بينما  
نحن في وجع وحزن ، لأنه في تلك الميناء يفتخر كل أحد بتجارته  
وثروته ... فأحشى يا أحبائي أن نخرجنا السموات خارج الحدس .  
إن محبة الإقتناء توضح أننا لا نشاق إلى المسيح ، والحسد دليل  
على أنه ليس لنا محبة في ذراتنا ، شفاهنا تستوضح مكتومات  
قلبنا ، متى إنفتح الفم وكان لا باب له أو حراسة فإنه يخرج كلاماً  
بلا تحفظ وبأفوالنا نسلب متاع قلبنا لأننا لا يحفظ أسرار القلب  
يسترق أفكاره ، والامور التي يظن أنها باطنة تستهزأ بالفم والتسامح  
التي يظن أنها لا ترى تنكشف ، لا يتخذ عن أحد بالورع الظاهر

فإنه يمدح ذاته وأخاه . من يظن أنه يقنع بالورع الظاهر فتصرفه  
يظهر كذب ورعه . إن شئت أن تعرف أفكار القلب فن القم  
تعرف بأى شيء تنتم وعلام تحمص ، أعلى الأشياء . الأرضية أو أعلى  
الأمور الساتية ... إن من كثر القلب يخرج الفم إعتاماته وهذبه  
اللسان يوضح إلى ماذا لشتاق ؟ إلى المسيح أو إلى أمور العالم  
الحاضرة ...

ولعل أحداً يقول إن الآلام الطبيعية تسيطر علينا والذين  
فيها لا جناح عليهم . اصغ إلى ذاتك ... لأنه قد صنع البرايا كلها  
حسنة جداً ووزن الطبيعة بسائر الصالحات ، فمن يجوع إذن لا يذنب  
إن أكل بمقدار لأن العطش طبيعي ، إذا قام أحد فلا يحظى إلا  
إذا كان بلا حدود بل يدفع نفسه للنوم . النية في الإنسان كالفلاحة  
تطعم في ذاتها عادات رديئة أو صالحة كما إنعقدت . أما العادات  
الرديئة فتطعمها هكذا . تطعم في الجوع نهم البطن وفي العطش  
كثرة الشرب وفي النوم الاسترخاء ، وفي النظر الرؤية الشريرة ،  
وفي الحق الكذب ... كما أن النية تطعم الفضائل الصالحة هكذا ،  
في الغذاء الإمساك ، في العطش الصبر ، في النوم السهر ، في الكذب  
الحق ، في النظر التعفف ... فمن تقتلع العادات الرديئة وتطعم  
الفضائل الصالحة تغلب الطبيعة . فأرض عملنا هي الطبيعة والفلاح  
هو النية والكتب الإلهية هم المشيرون والمعلون يعملون أية

عادات تقتلع وأية فضائل صالحة تفرس . فإدام الفلاح مستيقفاً  
وحرصاً من قبل تعلم الكسب الإلهية فهو قوى لأن الكسب  
الإلهية تعطيه فهماً وقوة ، تعطيه فضائل صالحة ليطلع بها شجرة  
الطبيعة ، تعطيه أمانة في عدم الأمانة ، ورجاء في عدم الرجاء ،  
ومحبة في البغضاء ومعرفة في عدم المعرفة ، وحرصاً في التواني  
ويجداً ومدحياً في عدم الشرف ... فإن شاء وقتاً ما يتعظمه أن  
يترك الملم والمشير عليه أعنى الكسب الإلهية أضحي تماماً يصادف  
فتائج خبيثة إذ يربي عادات لا تقع فيها ويظمها في الطبيعة من  
عدم الأمانة والجهل والبغضاء والحسد والكبرياء والسبح الباطل  
والنهم ... لأنه يترك المشرع تركه ، فإن ندم وتاب قائلاً قد أخطأت  
إذ تركتك يقبله المشرع في الحين ويمنحه فهماً وافتقاراً صالحاً  
ليعمل أيضاً أرض فلاحته وطيبته ويقتلع منها العادات الرديئة  
وينصب عوضاً عنها أبراج الفضائل الصالحة ويمنحه أكابيل الجود  
... وهكذا كما قلت أنه يجوع بالفريرة فيحنم بالصبر ، يطمس  
لكنه يتجلد ، يشتهي لكنه يتعفف ، يشغل بالنوم أو يشتمله بحز  
في تمجيد السيد لكنه يسر ويمجد ذاته في تسبيح الله ، وكذلك  
بكل إذا غلب الطبيعة واقتنى الفضائل .

حجة يسوع للخطاة

المجد إذن لتدطفه والشكر لصلاحه والسجود لتحننه ، الرب

الرقوف ، الآب الرحوم . أي أب هكذا يجب مثل سيدنا الذي  
أحبنا نحن عبده ويهب لنا كل شيء ويدبر أمورنا ويشفي  
بمراحات نفوسنا بأنواع الأدوية ويشمل علينا إذا خالفناه ويشاء  
أن يخلصنا كلنا ويشاء أن يصيرنا وارثين لمسكه ...

الطوبى لمن ذاق عبته وأعد ذاته أن يمتلي منها دائماً فإنه إذا  
المتلا من مثل هذه المحبة لا يقبل في ذاته محبة أخرى .

يا أحيائي من يجب مثل هذا السيد ؟

من لا يسجد ويشكر لصلاحه ... ؟

أي اعتذار لنا في يوم الدينونة إن توأمتنا وماذا نقول ؟  
أقول أنا ما سمعنا أو ما علمنا . ماذا يبقى أن يعمل ولم يعمل  
بنا ؟ أما نزل من السماء من حضن أبيه ؟ أما شوهد الغير المرئي  
حناً وهو الغير مائت ألم يتجدد من أجلنا ، أما اطعم ليعتقنا ... ؟  
يا المعبود الموعب خوفاً ورعباً أن يبدأ طبيعة خلقت من طين  
الأرض اطمت باري السماء والأرض ، ونحن الإشباق . والأديان  
ترايبون وماتون ورماد ولا نحتمل كلمة ... هو غير المائت .  
ألم يمت من أجلنا ليحيينا ؟ ألم يدفن ليمضنا معه ؟ لقد فكسنا  
من رباطات نمدد وقودنا وأعطنا سلطاناً أن ندوسه .

مضى إستعنا به فلم يجبتنا ، أو فرغنا يابه فلم يفتح لنا ولو تباطأ وقتاً ما ...

أيها الحبيب ديت إلى محاربة وتروم أن تصادف أعداءك بغير أسلحة ؟ عوض السمير تنحدر إلى النوم ، وعوض البسكاه والنهيب تبدل ذاتك للضحك ، وبدل المحبة تكن البغضاء لصاحبك جئت إلى الطاعة وأنت تجاوب ، جئت لثروت ملسكا وأنت تفيد نفسك بالمعقولات الارضية . وعوض التواضع والوداعة تشتغل بالتعظم والتكبر .

الاستعداد وعدم التواني

ماذا تقول في ذلك اليوم ؟ أقول إنني تواضعت من أجلك وتمسكت وتعميت ، وجمعت وعطشت إلى عبتك من كل نفسى وأجبت قربي كمنفى ، أعلم أن أفوالك وأفكارك غير مكثومة .. أو لا تعلم أن البرايا كلها تقف أمام مجلته بخوف ورعب شديد وتحوط به ألوف ألوف وربوات الملائكة ورؤساء الملائكة ...

إستيقظ من نومك وعد إلى ذاتك ، إجمع أفكارك وانظر النهار فإنه قد مال .

افهم هذا المعنى أيها الاخ ان اخوتنا الذين كانوا معنا باللاس

يكلموتنا ، ليسوا معنا اليوم لانهم دعوا إلى ربهم وربنا ، يريه كل واحد منهم تجارته .

ها أنتم قد عرفتم أمور أمس الماضي وأمور اليوم . كيف حضى أمس كزهرة صباحية وكيف عبر هذا اليوم . نأمل أمتعة تجارتك إن كانت قد نمت استثماراتها من أجل الله لأن أيامنا تجوز سريعاً .

الطوبى لمن ينجر وينسى بضاعته يوماً فيوماً ويجمع فوائد الحياة الدائمة .

لم تتوان أيها الحبيب ؟ نضرب لك مثلاً - شخصان مسافران أحدهما مع الآخر في الطريق وكلاهما ذاهب إلى منزله ، فلما أدركهما كليهما المساء نزلا في الفندق الذي وصلا اليه ، ولما صارت الغداة فارق أحدهما الآخر ، وكل منهما يعرف ما له في منزله ، إما غنى وإما فقر ، إما نياحة وإما حزن ، هكذا نحن في هذا العالم فإن هذا العمر بضاهى مسكناً ومنه ففترق ذاهبين إلى موضعنا طالين مالنا إيماننا لأن كل واحد منا لا يعلم ما تقدم به وأرسله إلى السماء . أ أرسل صلاة بدموع أو سهراً نقيباً أو ترتيلاً أو تحضماً أو تسكاً بانضاسع أو زهداً في الامور الارضية أو محبة يلا رياء واشتياًفاً إلى المسيح . إن كنت سبقت فأرسلت هذه

فتنى أنك ستعنى إلى نياحة وراحة وإن كنت ما أرسلت ولا  
واحدة منها فلم تفيظ فريبك في مسكن الاغتراب لانك غداً  
تفارقه ، لم تتكبر؟ لم تعظم ولم تحقد وتمكز؟ . أتوتر أن تحمل  
المسكن معك ؟ لم تهتم من أجل الثياب والملابس والطعام المعطى  
البهائم غذاها ألا يفدك أنت الذى تمجده ؟ . يا من ترجو أن  
تصير وارثاً لهم بالثياب والملابس ، يا من قد أمت ذاتك عن  
العالم أقيم في المقولات الأرضية ؟ ...

لماذا تفيظ العليبي بأنتك توتر أن تبرأ وفي زمان مداوانك  
تخفى جراحاتك وتدعى على الطيب أنه ما أبرك ، قد أعطيت  
وقناً للتوبة وأنت تتوانى في التوبة فماذا تدعى ؟

أفنى أيها الحبيب متيقظاً فإن تلك الساعة كالفتح توافى إليك  
وحيثما يشتمل ذهنك الذهول وتقول كيف جازت أوقاتي وكيف  
عبرت أيامى في حال تزهرى في الأفكار الغير واجبة ، وما المنفعة أن  
تفتكر بهذه وقت الموت وإن يسمح لك أن تعود إلى هذا الدهر .

ضع نصب عينيك للمقولات ولتدخل في مسامعك أقوال  
الرب إن كنت تصدقه لأنه هو قال انك تعطى فى ذلك اليوم  
جواباً عن كل كلمة بطالة . فلا يخرنا المكتوب لأن الذى يفهم

المكتوب ولا يعمل به فهو يضامى كروب ماء يقبل الماء ولا  
يحس انه يحوز فيه .

ترى من لا يبكى ؟ من يرى ولا يحزن ولا يندهل . إن سيد  
الدنيا كلها يهتف بذاته وبعبئده الرسل والأنبياء ويكرز صارخاً  
وليس من يسمع ... العرس معد والمسمعات قد ذبحت والحفن  
جمالس بعظم جلاله ومجده ، يستقبل المقبلين إليه بفرح . الباب  
قد فتح ، الخدام متسارعون فاستعدوا قبل أن يفتق الباب لئلا  
تبقوا خارجاً وإن يوجد من يدخلكم . إننا مع ذلك لا نحرص  
بل نضطلع ونهتف بهذا الدهر .

ترى من هو الذى يسافر بلا زاد في طريق بعيدة ؟ انشاء  
نحن أن نترك زادنا هنا فلا نأخذ معنا شيئاً للسفر ؟

مغيوط من يسافر إلى الرب بدالة حاملاً زاده غير محتاج  
إلى غيره ... أنه يصير من السماء بغنة دوى عظيم وروعود مرهبة  
وبروق مفرعة مع زلزلة ... يندهل بغنة الراقدون ويتدكر كل  
واحد أعماله التى عملها إن صالحه وإن طالحه . يقرعون صدورهم  
صارخين على مضاجعهم لأنه ليس لهم موضع يهربون إليه أو  
يختفون فيه . ليست ساعة مندم يتوجون فيها على ما عملوا لأن  
الأرض تزلزل والرعود ترعب والبروق تذهل وظلمة مخيفة



تصدق بهم ، هكذا تكون تلك الساعة ترعج الأرض كلها كبرق  
حاد مدلم لان اليوق بيوق بخوف من السماء وينهض الراقدون  
ويتبته الهاجمون منذ الدهر ، لان هذه السموات مع كافة قواتها  
تضطرب والأرض تتموج كلها كالبحر مرتعدة من تجاه مجده  
لان ناراً مرهبة تتقدم بسعيرها . أمامه تنظف الأرض من المآثم  
التي دلستها ، ويفتح الجحيم أبوابه الدهرية ويبدل الموت - ويقوم  
تراب الطبيعة البشرية إذا سمع صوت البوق ويهبها ، وبالْحَقِيقَةُ  
يكون ذلك عجباً إذ يتم في طرفة عين ، لانه كالمسك الكثير الذي  
يذهب ويحيى . وينقلب في البحر هكذا عظام الطبيعة البشرية التي  
لا تحصى . يجتمع كل منها طالباً منفصلاً وإذا تمهضت تحاضر كلها  
وتقول الحمد لمن جمعنا واستهضنا بمطغفه على الناس ، وحينئذ  
يبتهج الصديقون ويسر الأبرار ويتعزى الفساك الكاملون من  
تعجب لسكهم والشهداء والرسال والأنبياء يكلون .

الطوبى لمن يستحق أن يرى تلك الساعة كيف يخطف  
في الحب لاستقبال الحنن الذي لا يموت وكافة الذين أحبوه  
وحرصوا أن يتمموا مشيئاته لانه هكذا يطيرون إلى شواهد  
الاعالي ، ويقفزار ما نطف كل واحد ذننه ونفاه هكذا يبصر  
جد الله ، ويقدر ما اشتاق الإنسان إليه هكذا يشمل شعباً من

حجته . ويتعجب في تلك الساعة آدم الاول إذا أبصر العظام  
والامور الزهية ، كيف قد حضر منه ومن قرينته ما لا يحصى  
من كثرة الاجناس . . .

وبعد ذلك يقول القديس في تواضعه ونطره إلى قياس ملء  
النعمة والسكال سيدنا يسوع المسيح :

يا أحيانى . . . لقد نذرت تلك الساعة وارتعدت وأملت  
تلك الدينونة المفزعة فانذهلت وذلك المرور الذي في التعسيم  
فتنهدت وبكيت حتى لم يبق في قوة لابيكي أيضاً . لان آياي قد  
عبرت في التواني والتنزه ، وفي الافكار الدلسة أكلت حتى حياتي ،  
كيف سرقت ولم اعلم ، كيف عبرت ولم احس ؟ فأياي فتييت  
وآثامى تسكائرت .

وبصرخ متخشعاً في حسن عبادته :

ويلى ويلى يا أحيانى ماذا أصنع يخزى تلك الساعة إذا طاف  
حولى الذين يعرفوننى والذين لما أبصرونى في هذا الزى طوبونى  
وأنا من داخل موعب إثمياً متناسياً الرب فاحص القلوب والكلى .

بالْحَقِيقَةُ إن هناك الخسزى والافتضاح ، والشقى هو الذى  
يخزى هناك .

## صلاة للقديس

... ايها الصالح العطوف ...

استحلفك برافتك ألا توقفي عن اليسار مع الجداة التي  
أغاظتك ولا تقبل لي لست أعرفك ، بل أعطني يتحننك بكاء  
دائماً وتحنناً .

أعطي قلبى تواضعاً وطهره ليصير هيكلًا لنعمتك المقدسة لاني  
وإن كنت خاطئاً ومناقضاً لكنني قارعاً بابك بمدومة ، ولئن  
كنت عاجزاً متواظباً لكنني في طريقك سالك .

لك المجد والكرامة من الآن وإلى أبد الدهور آمين .

يا إلهي يا إلهي ...

أتضرع اليك أن تصمعوا علي أن ترضوا الله مادام  
موجوداً . ابكوا قدامه نهاراً وليلاً في صلواتكم وترتيمكم لينتقم  
من ذلك البكاء الذي لا يقضى ومن صرير الانسان ومن نار  
جهنم ومن الدود الذي لا يهدأ ، ويفرحكم في ملكته في الحياة  
الخالدة حيث يهرب الوجد والحزن والتهد ، حيث لا يحتاج  
أحمد دموعاً ولا توبة . حيث ليس مخافة ولا رعدة ...  
لا فارق هناك أو تفاضل ، حيث لا يوجد المحارب والمعاند .

حيث ليست خصومة أو سخط ، ليست هناك بغضاء أو شتماء  
لسكن هناك فرحاً وسروراً واحتياجاً ومائدة مملوءة أطعمة  
روحانية أعدما الله للذين يحبونه ، فغيبوط من يؤهل لها وشقي  
من يحرم منها .

ويردد القديس في تأملاته هانفاً :-

أطلب اليك يا أحبائي أن تسكبوا علي تحننكم وتشفعوا عني  
يا ساجدين لابن الله الوحيد الصالح العطوف ...

ليصنع معي رحمة ...

وينجيئي من غزارة مآثمى ...

ويسكنني حول مساكنكم في ساحات الفردوس المبارك

الوارثين إياه ...

حتى أصير جاركم لانكم أنتم الاولاد المحبوبون ...

يا أحبائي اسكبوا صلواتكم ...

فلنحرص من أجل حياتنا فإن الاشياء كلها تعبر كعبور الظل .

ولنبغض العالم والاشياء التي في العالم والاهتمام البشري .

لا نتخذ إهتماماً آخر سوى الاهتمام بمخلصنا كما قال ربنا :-

ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه أو مآذله

يسمى الإنسان فداء عن نفسه .

أبها الإخوة نحن تجار روحانيون فلنتشبه بالتجار العالميين ،  
فالتاجر يحسب كل يوم ربحه وخسارته فإن خسر يحرص ويهتم  
كيف يعوض خسارته ، كذلك أنت أبها الحبيب في كل صباح  
ومساء وغداً تأمل بمبالغة كيف ترعى تجارتك ، وفي كل عشية  
إلحس قلبك وتفكر وقل في ذاتك :

أتاني أغضبت الله في شيء أو تكلمت كلمة بطشالة أو  
جدفت ؟

أتاني أغضبت أخى أو إغضبت أحداً ، هل رتل في العالم ؟  
أو تخيل ذهني الأمور التي في العالم ؟ أتري جاءت فكرة شهوة  
فقبلتها بتلذذ ؟ أو إغضبت للموموم الأرضية . . .

تأمل ذاتك وقل كيف عبرت هذه الليلة أربحت فيها  
تجارتى . أسهر عقل مع جسمي ؟ هل ادمعت عيناى دموعاً عند  
إحنا . ركبتى ؟ أو جاءت إلى أفكار خبيثة فنأملتها . إن انقلب  
في هذه فأحرص أن تشقى وأقم حارساً في قلبك لتلا نصاب بهذه  
نفسها . إن إهتممت هكذا فسسلم تجارتك وتسير مرضياً ته  
رابعاً لنفسك .

إصغ إلى ذاتك واحذر أن تدفع ذاتك إلى التواني والرقاد

فإن لإبتداء الهلاك تمرد الية . تأمل النحلة وأبصر سرها المعجيب  
كيف تجمع صناعتها من أزهار الأرض المشتتة أنواعها . . .  
كن أنت مثل النحل وأجمع لنفسك من الكتب الإلهية غنى  
وكزراً لا يسلب وأرسله إلى السموات لأن رؤساء الأرض إذا  
آثر أحدهم أن يسافر إلى بلدة بعيدة يرسل قدامه غلبانه مع  
ثروته لكيما يوافي إلى راحة معدة . كذلك أنت أبها الحبيب  
أرسل غناك إلى السماء لتقبل في مساكن القديسين ولا تتوان في  
هذا الزمان القصير لئلا تدم إلى الدهر التي لا انقضاء لها .

أما سمعت الرب يقول سيكون لكم في العالم حزن ؟ قال  
أيضاً بصبركم تقتنون أنفسكم ، فإن كنت مع رجاوتك وتوايبك  
تشتاق أن تهرب من حزن هذا الدهر ، ومن الصبر وتشكو من  
نير المسيح الصالح مدعياً بسبب رجاوتك بأنه صعب وثقيل .  
فمن ذا الذى يرحمك ؟ ومن ذا الذى يتراف عليك . . . ؟

لقد أخذت أسلحة المسيح التي تحتاج أن تحارب بها العدو  
فأفندت السيف في قلبك ، فإن كنت تقبهاى بهذه الحياة  
فرجاؤك باطل وانتظارك فارغ .

ماذا تصلى بفمك إلى الله وما هي الوسيلة التي تطلبها منه .  
أنيابا في هذا الدهر ؟ أم تطلب الحياة التي لا تنفى ؟ إن طلبت

عنه الاشياء الوقتية الغير ثابتة فإن السارق والزاني يسكونان  
أفضل منك لانهما يطلبانها ...

أحسب أيها الشقي أن الإله الصالح المنصف ينكر تعبك وهو  
الذي منحك قوة ونعمة وخشوعاً . إنه يعطيك ثوابك والاشياء  
كلها منه وأنت تعظم ... إنه يطالب بأجرة الاجير من الذين  
ينكرونها عليه أفينكر عليك أجر دموعك وخشوعك ؟ حاشا  
لان الذي قال اطلبوا تجدوا افرعوا يفتح لكم ايضاً كاذباً ؟  
حاشا وكلا ...

منذ الآن عد إلى ذاتك ولا تحفت نفسك ، إفتح عيني  
أحمدك وابصر الذين معك كيف يجاهدون ، وكيف يحرسون  
وهم يسكرون بمصاييحهم وفهم يسبح ويمجد الحنن الذي لا يموت  
واعينهم تتأمل جماله وانفسهم نضرة وبهجة ...

سيصير بغنة صوت : ها هو الحنن آت فيجيء الذين معك  
بفرح ومصاييحهم معهم مصيئة وحلوم منيرة فإذا سمعوا صوته  
القائل : تعالوا يا مبارك أبي ربنا الملك الممدد لكم من قبل إنشاء  
العالم . فيمد أن يصير الصوت تقول يا إخوتي اعطوني زيتاً  
قليلاً لأن مصباحي ينطفئ فيسمع منهم لعله لا يكتئب لنا ولك  
بعض إلى الباعة فاشتر . فتمضي نادياً ومغموماً ولا تجدد البتة

زيتاً لئبناعه لان الارض كلها ترتعد كما يتموج البحر من مجد  
فتقول حينئذ متحجباً أمضى فافرح ولا أعلم إن كان يفتح لي ،  
فإذا مضيت لتفرح لا تجد أحداً يحبك ، فتأبث قارعاً فيجيبك  
من داخل قائلاً : حقاً أقول لك أبت أعرفك من أنت ،  
أعرف عنى يا فاعل الإثم . وحال وفرك هناك يوافي إلى  
أذنيك صوت السرور والابتهاج وتعرف صوت كل واحد من  
رفقاتك فتتهمد وتقول ويل ويلي أنا الشقي كيف عدت مثل  
هذا المجد الذي لإخوتي وانزعجت من رفقي ؟ . كنت طول  
زمان حياتي معهم والآن بعدت عنهم . أصابني هذا بحق فأرلنتك  
كانوا يجاهدون ويحرسون وأنا كنت أهمل وأتراني . كانوا  
يسرون في الصلوات ويصومون وأنا نائم ... لهذا الان هم  
يسرون وأنا أنتخب ، أولئك يبتهجون وأنا أكي .

أفني إذني أيها الشقي قليلاً متأملاً بحبه الله للناس التي ليس لها  
نهاية ولا تمهل خلاصك ، أطلبه فيسكون لك سريعاً ، إستغث  
بأنه يصرخ ... وإذا كان الصك ينطق بما فيه بتأدية الديون  
فأقول بالإله الصالح يعطى بالاكثير الذين يطلبون نعمته  
المعمودة ...  
تقدم إليه بلا حرج وأسجد له بشهد باكياً وقول :

## صلاة للقدیس

یا ربی وخلصی : تراوی علیؑ فإنک أنت العطوف ورحیم .  
خلصنی أما الخاطی . وانشلنی من حساة ما تمی لثلا أنغمس فیہا  
إلی أبد الدهور . . . أنتذنی من فم العدو فإنه مثل أسد یزار مریداً  
أن ینتلنی . إنفض قوتک وھلم لتخلصنی . . .

### طلب العونة من الله

فإن إنشئت إلیه هكذا واستعنت به من کل قلبك للبحین  
یرسل مثل أب صالح ومتحن نعمته إلی معونتك ویسكل كافة  
مشیاتك . تقدم ولا تتوان ولا تنظر إلی المتوانی المضطجع  
لأنه یلم فی حزی وجمی إذ أقول ولا أعمل ، اعظ وأنا لا أفهم .  
لكن کن مشابهاً للآباء السکاملین الروحانیین واتبع رسمهم .  
ولا تنبدی . بالأمور العالیة جداً التي تفوق قدرتك ولا یمكنك  
أن تتممها ، ولا تنبدی . بالأفعال الخفیة جداً لیكثر نوانیک .  
ولا ترح جسمك أكثر من اللازم اثلاً یحاربك ، ولا تمود  
علی الذنات اثلاً یصیر ثغلاً لنفسك ویحدرها إلی أسفل أعماق  
الأرض لأنك إن بذلت ذاتك لإكمال مشیاته فإنه سیرك الطريق

المستویة ویمشی إلی الهوة یتقبل بسهولة کل فکر شریر ولا یتعفف ،  
وإن ضیقت علیه فوق المقدار یصیر ثغلاً لنفسك ویسملها السکابة  
والضجر وینتابها السخط حتی تصبح عاجزة عن دراسة القسیح  
والصلاة والطاعة الشریفة . فقدر ذاتك بقدر جید معتدل .

قل لی أما شاهدت قط السباق أو ما رأیت قط مرکباً فی  
البحر ؟ إن الخیل إذا أسرعت بلا مقدار تحور من الجری . وإن  
ترکت وشأنها ولم یکبح جماعها تؤذی الراكب وتطرده .  
كذلك المركب فی اللجة إن حملت فوق حدھا تمتلئ من الأمواج  
وتفرق ، وإن أبجرت بلا حولة أو ثقل ثقلها الریاح صریحاً .  
نظیر هذا المقیاس النفس والجسد . إن ثغلاً بلا مقدار بالاشیاء  
المتقدم ذکرها یسقطان ، فالهنا جید أن تنبدی . وترضى الله  
وتفزع ذاتك وقربیک .

### السهر والجهاد

أتم یا رعیة المسیح المبارک ونجوم المسکونة وماح الأرض .  
أیها الفساک السکاملون والمحبون وأتم علی الأرض لیسرة الملائکیة ،  
لأن تعبکم وفقی والمجازاة أبدیة . تعبکم یسیر والنیاحة والسکال بلا  
نهاية . وعلی قدر ما تجاهدون بنشاط فی تقویم الفضیلة بقدر  
ما یشتعل عدوکم غیظاً ویغیبه لکم غناخاً .

إصغوا إذن لذواتكم حذرين من مكانته لأنه بدون جهاد لا يكال أحد ، ونعمة الله لا تتخلي عن محارب ويجاهد بشايطه ، فإن تخاذل أحدكم وهجر عن أن يفتح نفسه ويستدعي النعمة لخصمه فإنه يتعامل بأن النعمة لم تمنه ، فيكون كمن كانت يدها صهيحيتين وأمامه أطعمة كثيرة موضوعة ولا يمد يديه ويمسك لذاته من الخيرات المنصوبة لديه ، فن ذاته تكون خبيثه وخسارته . هكذا العابد الذي له تجربة النعمة والخبرة إذا تواني في الاستقامة بها والشبع من حلوة أطعمتها فهو يضر ذاته دون أن يحس . يشبه العابد جندياً برز إلى الحرب وقد دجج جسده من كل جهة بعمدة أسلحة متيقظاً إلى الغلبة يجاهد اثلاً يظفر عليه محاربه بقتة ، فإن وجد غير متحفظ أخذ على غرة ، كذلك العابد إن اضطجع وتواني يفتسه عدوه بسهولة إذ تحظر له أفكاراً شريرة ، أفكار استسلام الرأي والسيح الباطل والحسد والوقية ونهم البطن والنوم الذي لا يشبع منه . . . أما إذا كان مستيقظاً كل حين متيقظاً فإنه يجذب نعمة الله لمعونه ، تضيء ذهنه وتمينه ، ويقوم كل فضيلة ويستحق بها ، وتصير له سوراً حصيناً وتحفظه في هذا الدهر حياة الدهر الآتي .

اغسل وجهك بالدموع وارحضه بالبكاء ليشرق بمجد أمامك

الله والملائكة القديسين لأن الوجه المغتسل بالدموع هو جمال لا يذبل بل يلمع أكثر من الشمس بين يدي الله والقديسين . . .

### إرشادات ثمينة :

أشير عليكم يا أحبائي ألا تعدموا من أجل لذة العالم بمجد الله وتغربوا عن سرور الخلد الذي لا تبلى بهجته ، واعلموا أن نعب النسل مثل نوم وارد ، أما نياحة المكافأة فهي لا تنقضي ، فاصغ إلى ذاتك اثلاً تفقد الحظين كليهما وتقع تحت طائلة الحكم احرص أن تغتنى الفضيلة التسامة التي يحبها الله فإنك إن إقتنيتها لا تغضب الله قط ، ولا تعمل بقربك سوءاً . إنها الفضيلة ذات النوع الواحد تحوى في ذاتها جمالا فإذا بكافة الفضائل مثل تاج الملك ، ولكي تكون تامة ومختبرة إن كانت لا تنقص واحدة من التقرينات المحصورة في الفضيلة ، فهي تضاهي امرأ عظيمها طائراً في الأعلى فلما أبصر في الشرك طعاماً إنحدرت وانقضت إليه بسرعة فإذا رام أن يختطف الصيد تعاقب بطرف مخالبه وبذلك العضو الصغير ربطت كافة قوته ، وفيما هو يظن أن سائر أعضاء جسمه معتوق وخارج من الشرك وجد بالحقيقة أن قوته كلها قد قيدها الشرك . . . والفضيلة على هذا القياس إن ربطت بأحد الأمور الأرضية تموت وتنقسم وتهلك ولا يمكنها أن ترتقى إلى

## صلاة للقديس

أبارك يسوع

أتضرع إليك أن تشفي كلوم نفسي ، وتطفيء عيني ذهني ،  
لأنه لست أدرك في ، وإذ قد فقد ذهني فلتصلحه نعمتك ...  
ماذا أقول ياذا العلم السابق والفاحص القلوب والكلبي ، أنت  
وحدك تعلم أن نفسي كالارض الفاسدة الما قد عطشت إليك  
وتاق إليك قلبي لأن الذي يحبك حياً دائماً تشبعه نعمتك ، فبك  
استمعت إلى دائماً لا تعرض الآن عن وسيلتي فإن ذهني مثل  
أسير لك وإياك يطلب .

أيها المخلص الحق :

أرسل نعمتك لكي إذا جاءت تشبع جوعى ، وتروى  
عطشى ، إليك أشتاق ، إليك أعطش .

يا نور الحق :

إعطني طلباتي ، واقطع في قلبي نقطة واحدة من محبتك ،  
لتتقد كالسبب في قلبي وتغرق أشواكي ...

الاعلم إذا سمعت بأمر أرضي وتقيدت به .

من له دموع فليجيء ليكي ...

من لا يمكنه التخليع فليتنهد على هذه الفضيلة ...

إنها بعد أن ارتقت إلى السماء وبلغت إلى أبواب الملك لم  
تقدر أن تدخل ، أيها الحبيب ... إن قوماً قوموا الفضيلة برؤوس  
أتعاب ووشوا أنفسهم بها كما يتاج الملك فلما ارتبطوا بأمر أرضي  
هلكوا ووقفوا خارج الملك السائي . فمن ذاتك وحدار أن  
تشتبك في شيء من هذا فتدفع ذاتك إلى العدو وتحمل الفضيلة  
التي إنشيتها هكذا بأتعاب جزيلة وتمنحها من الارتفاع إلى السماء ،  
السكن اعطها ذاته أن تدخل بصوت عالٍ مبهجة نائلة ثوابها ...  
يا للعجب !! إن سبياً يربط بشعره ويساق هنا وهناك ،  
هذه حال الفضيلة إذا ربطت باهتمام أرضي تهوى إلى الأرض  
ويذل شرفها لأن هذه الفضيلة بالسبع أشبه .

أيها الحبيب ... حرك ذاتك واقطع هذا الرباط الخفي  
كيلا يضحك عليك ويكون مثلك مثل ذلك القوى الذي قتل في  
لحظة الوفاً وقتل أعداءه ثم أسلم نفسه بإتضاع شعره بسفاهته  
إلى الأعداء وقيد قوته المرهوبة والمعجبة جداً ...

اصنع إلى ذاتك ولا تربط الفضيلة بعمل رديء ما ...

إن كنت خالفت وأخالف لاني ترابي وابن ترابي، إرو عطشي،  
يا من أشبهت الخمسة آلاف من خمس خبزات : لإشبع جوعى .

أيها المتعطف الصالح ، يا من قبلت فلان الأرملة ومدحتها :  
لاقبل طلبة عبدك وامنحني وسيلقى لأصير هيكلا لعنتك ، تسكن  
فنى وتكبح جهام ذمنى بلجام محبتك لكيلا أضل فأخطى . إليك  
وأخرج من نورك .

أهلنى أن أدعى وارثاً للملك وأقدم ثمناً معلومة عشوعاً  
واعترافاً بشفاعات كافة قديسيك آمين .

#### اليقظة والحذر

أطلب إليكم أن تستيقظوا فى هذا الزمان القصير وتجاهدوا  
فى هذه الساعة الحادية عشرة فإن المساء قد حان ومعطى الأجر ،  
سيوفى بمجد يهبط على كل واحد نظير أعماله . إحذروا أن يتوانى  
أحدكم فى تقويم الفضائل فيضيع أجره .

مثل العابد مثل حقل مزروع لعلاح ، ينمو زرعه بالأمطار  
وبالندى فإذا بلغ أوان الثمار جعل الفلاح فى إهتمام أكثر لئلا  
يفسده البرد أو الوجرش البرية حتى يحين حصاد الغلة ، حينئذ

ينقل الفلاح إلى المخازن ثم أراضيه فرحاً مسروراً شاكرآ الرب ،  
كذلك العابد طالما كان فى هذا الجسد ينبغي له أن يهتم من أجل  
الحياة الأبدية ، يتمب فى نفسك إلى يومه الآخر لئلا يتوانى ،  
يهتم بلا رجوع إلى أمر لا منفعة له فيه وإذا أكل سميه يحمل  
إلى السماء كهذا الفلاح ثمات أتعابه صائرآ بذلك للملائكة فرحاً  
وسروراً . فلا يضطجمن أحدكم أو يدهش من التجارب :

ليعضد قوبكم الضعيف وليعز النشيط منكم الصغير  
« النفس » .

لينهض المستفيق منكم من غلب بالنوم .

ليعظ الثابت فى ترتيبه من لا ترتيب له .

لينتهر المتيقظ من لا تحفظ له .

وهكذا المسيح المخلص يؤازرنا كلما فنقلب ونخزى العدو  
حصارنا ونمجد لإلهنا وتر الملائكة وينتفع الذين يبصروننا  
منفعة عظيمة .

لنحذر كل ما يدلس النفس . العث يقرض الثوب ويفسده ،  
والوقية تدلس النفس . السوس يفسد الخشب وتقنيه والعداوة



في قلب الإنسان المتكبر المتعظم مثلها مثل شجرة مرتفعة وبهيبة  
لكن لا ثمر فيها. الحسود المناقس كشمس بهي من ظاهره قد أصاب  
باطنه العطب . المجاوبة بغضب تزجج ذهن القريب ويكدر العين  
الصافية من يلقي حجراً فيها . . . بناء لا أساس له من لا صبر له  
على الاحزان . من يتكلم وقت الترتيل مثله مثل لسان مثل أمام  
الملك وكان الملك يخاطبه فناده نظيره في العبودية فما كان منه إلا  
أن ترك مخاطبة الملك العجيبة الشريفة وتحدث مع نظيره في  
العبودية .

فلنهم يا إخوتي أنا بين يدي الملك ماثلون ...

الملائكة وقوف برعب كثير يعطون الذسبيح للباري، يجب  
علينا نحن أن نقف بجهاد في أوان الترتيل. لا نكون قياماً بأجسادنا  
وبأذهاننا نتخيل وتتصور امور العالم . لنجمع افكارنا ليكون  
لنا نخر عند إلهنا ونصبر على تجارب عدونا ...

بشفاعة العذراء القديسة مريم وجميع القديسين الذين  
ارضوك انعم لنا يارب بمغفرة خطايانا .

† † †